تفسير القرآن الكريم

سورة الذاريات ١٢-٢-١٤٠٢ ٣

دراسات الأستاذ:

مهدي الهادوي الطهراني

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١)

فَالحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢)

سورة الذاريات

فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣)

فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤)

سورة الذاريات

إِنمَّا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ(٥)

وَ إِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ(٦)

الأقسام الأربعة فی اول سورة الذاريات

- و سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام و هو يخطب على المنبر (ما الذاريات ذرواً) قال: الرياح، قال ما (الحاملات و قراً) فقال السحاب. فقال ما (الجاريات يسراً) قال السفن و المعنى إنها تجرى سهلا، فقال ما (المقسمات أمراً) قال الملائكة.
- و هو قول ابن عباس و مجاهد و الحسن، و هذا قسم من اللّه تعالى بهذه الأشياء.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۹، ص: ۳۷۹

الأقسام الأربعة فی اول سورة الذاريات

- و قال قوم: التقدير القسم برب هذه الأشياء لأنه لا يجوز القسم إلا باللَّه.
- وقد روى عن أبی جعفر و أبی عبد اللَّه عليهما السلام أنه لا يجوز القسم إلا باللَّه. و اللَّه تعالى يقسم بما يشاء من خلقه.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۹، ص: ۳۷۹

الأقسام الأربعة فی اول سورة الذاريات

- و قيل: الوجه فی القسم بالذاريات تعظيم ما فيها من العبرة فی هبوبها تارة و سكونها اخری، و ذلک يقتضی مسكناً لها و محركاً لا يشبه الأجسام، و فی مجيئها وقت الحاجة لتنشئة السحاب و تذرية الطعام ما يقتضی مصرفاً لها قادراً عليها، و ما فی عصوفها تارة و لينها أخری ما يقتضی قاهراً لها و لكل شیء سواها.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۹، ص: ۳۷۹

الأقسام الأربعة فی اول سورة الذاريات

- و الوجه فی القسم بالحاملات وقراً، ما فيه من الآيات الدالة علی محمل حملها الماء و أمسكه من غير عماد و اغاث بمطره العباد و احيی البلاد و صرفه فی وقتٍ الغنی عنه بما لو دام لصاروا إلی الهلاک، و لو انقطع أصلا، لاضربهم جميعاً. و الوجه فی القسم بالجاريات يسراً ما فيها من الدلائل و بتسخير البحر الملح و العذب بجريانها و تقدير الريح لها بما لو زاد لغرق و لو ركد لأهلک، و بما فی هداية النفوس إلی تدبير مصالحها و ما فی عظم النفع بها فی ما ينقل من بلد إلی بلد بها.
- و الوجه فی القسم بالملائكة ما فيها من اللطف و عظم الفائدة و جلالة المنزلة بتقسيم الأمور بأمر اللّه تعالی من دفع الآفة عن ذا و اسلام ذاک و من كتب حسنات ذا و سيئات ذاک، و من قبض روح ذا و تأخير ذاک. و من الدعاء للمؤمنين و لعن الكافرين، و من استدعائهم إلی طريق الهدی و طلب ما هو أولی بصد داعی الشيطان و الهوی عد و الإنسان.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۹، ص: ۳۷۹

وَ الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا

- روى عن أمير المؤمنين علی بن أبی طالب علیه السلام و ابن عباس (رحمة اللَّه علیه) و مجاهد ان (الذاریات) الریاح یقال: ذرت الریح التراب تذروه ذرواً، و هی ذاریة إذا طیرته و أذرت تذری إذراء بمعنی واحد.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۹، ص: ۳۷۸

إِنمَّا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ* وَ إِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ

- و قوله (إِنَّما تُوعَدُونَ لَصادِقٌ) جواب القسم. و معناه إن الذى وعدتم به من الثَواب و العقاب و الَجنة و النار وعد صدق لا بد من كونه
- (وَ إِنَّ الدِّينَ لَواقِعٌ) معناه إن الجزاء لكائن يوم القيامة، و هذا يفيد ان من اَستحق عقاباً، فانه يجازى به و يدخل فى ذلک کل مستحق للعقاب، كأنه قال: إن جميع الجزاء واقع بأهله يوم القيامة فى الآخرة

التبيان فى تفسير القرآن، ج۹، ص: ۳۸۰

وَ الذَّارِيَاتِ ذَرْواً

- و السورة مكية لشهادة سياق آياتها عليه و لم يختلف فی ذلک أحد، و من غرر آياتها قوله تعالى: «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ».
- قوله تعالى: «وَ الذَّارِيات ذَرْواً فَالْحاملات وقْراً فَالْجاريات يُسْراً فَالْمُقَسِّمات أَمْراً» الذَارِيَات جمع الذارِيَة مَن قولهم: ذَرت الريح التراب تذرِوه ذروا إذا أطارته و الوقر بالكسر فالسكون ثقل الحمل فی الظهر أو فی البطن.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۱۸، ص: ۳۶۴

وَ الذَّارِيَاتِ ذَرْواً

- و فی الآیات إقسام بعد إقسام یفید التأکید بعد التأکید للمقسم علیه و هو الجزاء علی الأعمال فقوله: «وَ الذَّاریات ذَرْواً» إقسام بالریاح المثیرة للتراب، و قوله: فَالْحاملات وقْراً» بالفَاء المفیدة للتأخیر و الترتیب معطوف علی الذاریاتَ و إقسَام بالسحب الحاملة لثقل الماء، و قوله: «فَالْجاریات یُسْراً» عطف علیه و إقسام بالسفن الجاریة فی البحار بیسر و سَهولَة.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۱۸، ص: ۳۶۴

وَ الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا

- و قوله: «فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً» عطف على ما سبقه و إقسام بالملائكة الذين يعملون بأمره فَيقسمونه باختلاف مقاماتهم فإن أمر ذى العرش بالخلق و التدبير واحد فإذا حمله طائفة من الملائكة على اختلاف أعمالهم انشعب الأمر و تقسم بتقسمهم ثم إذا حمله طائفة هى دون الطائفة الأولى تقسم ثانيا بتقسمهم و هكذا حتى ينتهى إلى الملائكة المباشرين للحوادث الكونية الجزئية فينقسم بانقسامها و يتكثر بتكثرها.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٨، ص: ٣٦٥

وَ الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا

- و الآيات الأربع- كما ترى- تشير إلى عامة التدبير حيث ذكرت أنموذجا مما يدبر به الأمر فى البر و هو الذاريات ذروا، و أنموذجا مما يدبر به الأمر فى البحر و هو الجاريات يسرا و أنموذجا مما يدبر به الأمر فى الجو و هو الحاملات وقرا، و تمم الجميع بالملائكة الذين هم وسائد التدبير و هم المقسمات أمرا.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٨، ص: ٣٦٥

وَ الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا

- فالآيات فى معنى أن يقال: أقسم بعامة الأسباب التى يتمم بها أمر التدبير فى العالم أن كذا كذا، و قد ورد من طرق الخاصة و العامة عن على عليه أفضل السلام تفسير الآيات الأربع بما تقدم.
- و عن الفخر الرازى فى التفسير الكبير، أن الأقرب حمل الآيات الأربع جميعا على الرياح فإنها كما تذرو التراب ذروا تحمل السحب الثقال و تجرى فى الجو بيسر و تقسم السحب على الأقطار من الأرض.
- و الحق أن ما استقربه بعيد، و ما تقدم من المعنى أبلغ مما ذكره.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٨، ص: ٣٦٥

وَ الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا

- قوله تعالى: «إِنَّما تُوعَدُونَ لَصادِقٌ وَ إِنَّ الدِّينَ لَواقِعٌ» «ما» موصولة، و الضمير العائد إليها محذوف أى الذين توعدونه، أو مصدرية، و «تُوعَدُونَ» من الوعد كما يؤيده قوله: «و إِنَّ الدِّينَ لَواقِعٌ» الشامل لمطلق الجزاء، و قيل: من الإيعاد كما يؤيده قوله: «فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ»: ق- ۴۵.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۱۸، ص: ۳۶۵

وَ الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا

- وعد الوعد صادقا من المجاز فی النسبة كما فی قوله: «فی عيشَة راضيَة»: الحاقة: ٢١ أو الصادق بمعنى ذو صدق كما قيل بمثله فی قوله: «فِی عِيشَةٍ راضِيَةٍ» و الدين الجزاء.

الميزان فی تفسير القرآن، ج١٨، ص: ٣٦٥

وَ الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا

- و كيف كان فقوله: «إِنَّما تُوعَدُونَ لَصادِقٌ» جواب القسم، و قوله: «وَ إِنَّ الدِّينَ لَواقِعٌ» معطوف عليه بمنزلة التفسير، و المعنى أقسم بكذا و كذا أن الذى توعدونه- و هو الذى يعدهم القرآن أو النبى ص بما أنزل إليه- من يوم البعث و أن الله سيجزيهم فيه بأعمالهم إن خيرا فخيرا و إن شرا فشرا لصادق، و إن الجزاء لواقع.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٨، ص: ٣٦٦